



الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على نبيه الأمين، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد: فمن جملة النعم التي امتن الله بها على الإنسان، نعمة النطق والبيان، قال الله عز وجل: **﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾** * **﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾** [البلد:8-9]، وقال جل ذكره: **﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَمَهُ الْبَيْانَ﴾** [الرحمن:3-4]، فاللسان هو الأداة التي يظهر بها البيان والشاهد الذي يخبر بما في الجنان، فاللسان من صغر حجمه، هو الواسطة للخير العظيم، كما أنه سبب الشر الجسيم، وهل يتضح الحق من الباطل، والصحيح من الفاسد، والخير من الشر إلا بواسطته؟ فهو ترجمان القلب، والمسيد على أعضاء المرء، فترى الأعضاء كلها تلقي إليه قيادها، وتعترف له بأن صلاتها بصلاحه، وطلحها بطلحه.

روى الترمذى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول: اتق الله فيما نحن بك، فإن استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا"، فنطق اللسان يؤثر في أعضاء الإنسان بالتوفيق والخذلان، فاللسان من أشد الأعضاء جماحاً وطغياناً، وأكثرها فساداً وعدواناً. قال مالك بن دينار رحمه الله: "إذا رأيت قساوة في قلبك ووهناً في بدنك، وحرماناً في رزقك، فاعلم أنك تكلمت فيما لا يعنيك". وما من معصية إلا وللسان فيها عمل، فمن أهمله ولم يلق لعمله بالآ، ينطق بما شاء، ويتكلم بما أراد من البهتان سلك به في ميدان الزلل والخطايا، وما ينجي من شره إلا أن يقيده بأمر الشرع. فليفكر المرء فيما يريد أن يقوله، فإذا رأى فيه الخير تكلم وإنما سكت، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت".

ومن حكمة الله أن جعل اللسان عضواً لحياناً لا عظم فيه ولا عصب، لتسهل حركته ولا تجد في الأعضاء من يكترث بكثرة الحركة سواه، فإن أي عضو من الأعضاء إذا حركته كما تحرك اللسان لم يُطق ذلك، ولم يلبس أن يكل ويخلد إلى السكون إلا اللسان، فلو كان فيه عظام لم يتهيأ منه ذلك، ولم يحصل منه الكلام التام، ولا الذوق التام، فكونه الله جل وتقديس كما اقتضاه سبحانه وتعالى السبب الفاعل. نعمة ما أعظمها علينا.

ولما كان اللسان سارحاً في ميادين لا حد لها، ولما كان سلطانه كبيراً وضرره عظيماً، كان العلماء والصالحون من هذه

الأمة يخشون عاقبة اللسان، ويفزعون من موارده المُهلكة، فأبو بكر رضي الله عنه يمسك بلسانه ويقول: "هذا الذي أوردني الموارد"، وعند الطبراني والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان على الصفا يُلبي ويقول: "باللسان قل خيراً تغنم، واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم"، ومن كلام عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - : "القلوب أوعية الأسرار، والشفاه أقفالها، والألسن مفاتيحها، فليحفظ كل امرئ مفتاح سره"، وقيل لبعض الحكماء: "كم وجدت في ابن آدم من العيوب؛ فقال: هي أكثر من أن تحصى، وقد وجدت خصلة إن استعملها الإنسان سترت العيوب كلها، قال: وما هي؟ قال: حفظ اللسان". فتأمل أيها الموفق حال كثير من الناس اليوم فيما يقضون أوقاتهم؛ ويشغلون فراغهم؛ لو تأملت هذا الأمر لرأيت ما يُذهل ويزرع من لغو الحديث، وخوض في باطل، وتتبع عورات، وتتذر بالناس، وانتهاص وسخرية!!!، وغير ذلك كثير. ومن أخطر ما انشغلت به الكافة من صنوف اللغو الكذب والغيبة والنميمة، وشهادة الزور، والسباب والشتم واللعن والقذف، بل إن من الناس من يعيش صفيق الوجه، شرس الطبع لا تحجزه مروءة، ولا يمنعه دين ولا أدب، قد سخر لسانه مقراضاً لأعراض المسلمين، بكلمات تنضح فحشاً وألفاظ تنهش نهشاً، يُسرف في التجني واللمز، فهذا طويل، وذاك قصير، وهذا أحمق وذاك جاهل، وكأنه قد ؤكل إليه تجريح عباد الله. أولاً يعلم أن الله تعالى يقول: {وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابِزُوا بِالْأَلْقَابِ} [الحجرات:11]، ويقول: {وَلَا تَجَسِّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا} [الحجرات:12]، أولاً يعلم أن الله تعالى يقول: {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدِيهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق:18].

قال الحسن البصري - رحمه الله - : "وتلا هذه الآية {عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ} [ق:17]، يا ابن آدم بُسطت لك صحفة وكل بك مكان كريمان أحدهما عن يمينك، والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك، فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيناتك، فاعمل ما شئت أقل أو أكثر حتى إذا مت طُويت صحفتك، وجعلت في عنقك معك في قبرك، تخرج يوم القيمة {وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْرَمْنَاهُ طَائِرٌ فِي عُنْقِهِ} [الإسراء:13]، ويزداد الأمر وتعظم المصيبة حين ترى من عليه سمات الورق والصلاح، وملامح الهدوء والاحتشام وهو يسفر من بداء وثرثرة ويخوض في لغو وباطل، ليس هذا سمت الصالحين ولا أمراء الطائعين، ولا صفات المؤمنين، فاربأ بنفسك عن دنایا القول وفحش الكلام، واردع نفسك عن تضييع العمر في غير ما خلق لأجله، واحفظ وصية نبيك صلى الله عليه وسلم إذ قال: "من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه؛ أضمن له الجنة". أخرجه البخاري من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

على الرغم من إيجاز هذا الحديث فهو وصية جامعة ثمينة من أبلغ الوصايا وأقيمها، اشتغل على الأمر بحفظ عضوين وتعاهدهما بالرعاية والاستقامة والرقابة والصيانة وهما (اللسان - الفرج)، فإذا أطلق سراحهما في المتع والشهوات، والفتنة والملذات، وطرق الغي والفساد كانوا أصل البلاء والهلاك، فاستنصر - نور الله قلبك - موقع الكلام واحفظ اللسان من الفضول والهذيان، وإن زلة من زلات المرء بلسانه قد تؤدي به إلى الهلاك والعطب، فاستعمل لسانك في الخير والصلاح وكل كلام تتكلم به فهو إما لكل وإنما عليك، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه" أخرجه أحمد والترمذى والنسائي وابن ماجه، وقال الترمذى حسن صحيح، والله عز وجل أمر بالكلام الطيب الحسن فقال سبحانه: {وَقُلْ لِعَبَادِي يَقُولُوا أَنَّى هِيَ أَحْسَنُ} [الإسراء:53]، وقال جل ذكره: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} [البقرة:83]. فاستعمل لسانك في النطق بالكلام الحسن، واحذر ألا يعيك الشيطان فإنه يدفع الإنسان إلى الكلمة النابية ليثير بها العداوة، ويفرق الشمل، ويقطع الحبل الجامع.

عليك بالكلمة الطيبة فإنها تزيل سخائم النفوس وتنمي العلاقات، وتضمد الجراح، وتبعث في الوشائج حياءً وقوة وصلة ورحمة، وتطرد الشيطان فلا تجعل له منفذًا إلى قلبك، إنما مطالبون أن نزن أقوالنا قبل أن تتجاوز الشفتيين، فربنا لا يقبل منا إلا أفضـلـ الكلـامـ وأـزـكـاهـ، وأـحـسـنـ القـولـ وأـعـلاـهـ، قال تعالى: {لَا خَيْرٌ فـي كـثـيرٍ مـنْ نـجـواـهـ إـلـاـ مـنْ أـمـرـ بـصـدـقـةـ إـلـاـ مـعـرـفـةـ إـلـاـ}

إِصْلَاحٌ بَيْنَ النَّاسِ [البقرة:83]، فهذه الآية صريحة إلى أن كلام الإنسان عليه وليس له، إلا ما كان في هذا ونحوه، فالخير والسلامة في حفظ اللسان، فلا يذهب الرشد إلا مع كثرة الكلام والثرثرة، وإذا لم يملك الإنسان نفسه كان فمه مدخلاً لكل ما يُعاب، فتتلوث بذلك سيرته، وتفسد سريرته، وجاء يوم القيمة مفلساً.

موقع المسلم

المصادر: